السلطان تيراب

بقلم

ضرار صالح ضرار

الناشرون : مكتب النشر بالخرطوم

مكتبة النشر النمرة المتسلسلة : م ن / م / ٣

الطبعة الاولى ١٩٥٠

الطبعة الثانية ١٩٥٢

الطبعة الثالثة ١٩٦٠

الطبعة الرابعة ١٩٦٣

(الطابعون المطبعة الحكومية بالخرطوم)

السلطان تيراب فى صغره

كان السُّلْطَانُ تِيرَاب مِنْ مُلوك دَار فور . عَاشَ السُّلْطَانُ تِيرَاب قَبْلَ مِائَتَىْ سَنْة (٢٠٠) . وَكَان مِن السَّلاَطِين الَّذِين يَصْبرُون عَلَى الأَلَم وَالتَّعَب .

كَانَ مِنْ عَادَةِ سَلاَطِين الْفُور أَنْ يُرَبُّوا أَوْلاَدَهُمْ تَرْبِيَة قَوِيَّة . كَانُوا يَهْتَمُّون بِتَرْبية أَوْلاَدِهِمْ لاَ يُرِيدُون الْأَوْلاد أَنْ يَكُونوا خَامِلِينَ أَوْ خَوَّافِينَ . يَجِب أَنْ يَكُونَ ابْنُ السُّلْطَانِ صَبُوراً يَتَحَمل كُلَ شَيءٍ .

كَانَ السُّلْطَان يَأْمُرُ الْخَدَّامِين فِي الْبَيْتِ أَن يَعْمَلُوا لَحْمة مُعَفِّنَة فِي الطَّبِيخ ، وَيَضَعُوا فِي الْأَكل شَطَّةً كَثِيرة جِدًّا : يَدْخُل أَوْلَادُ السُّلْطَانِ وَيَأْكُل كُلُّ وَلَد مِنْ اللَّحْمَة الْمُعَفِّنَةِ ، والشَّطَّة الْكَثِيرة . إِذَا عَطَس

الْوَلَد ، أَوْ رَفَضَ أَنْ يَأْكُل جَلدَهُ أَبُوهُ بالسَّوط . كَانَ يَجْلِد الْوَلَد أَرْبَعِين أَوْ خَمسِين سَوْطاً إِذَا لَمْ يَصْبر عَلَى عُفُونَة اللَّحم ، وَحَرَارَة الشَّطَّة

جَرَّبَ وَالِد السُّلطان تِيراب هَذِهِ الطَرِيقَة فِي أَوْلَادِهِ . وَكَانَ أَوْلَادُه صِغَاراً ، وَتِيراب أَصْغَر مِن بَعضِهِمْ . وَكَانَتْ الْعُفُونَة شَدِيدَة والشَّطَّة كَثِيرة عَطَس كُلُّ أَوْلَادِ السُّلْطان وَكَرِهُوا اللَّحْمَة . أَمَّا تِيراب فَلَمْ يَعْطِس ، وَلَمْ يَكْرَهْ أَكْلَ اللَّحم .

أَجْبَرَ تِيراب نَفْسَهُ ، وَمَسَكَ العَطْسَة لِأَنَّهُ صَبُور ، وَمِنْ ذَلِك الْيَوم كَانَ تِيراب مَعرُوفاً بِأَنَّه

من أَصْبَرِ النَّاسِ كانَ يَصْبِرُ عَلَى أَشَدِّ الْمَصائِب، وَلا يَخاف أَوْ يَتَراجَع مَهْمَا كانَ الْعَدُوُّ .

السُّلطان تِيراب وأَوْلادُهُ

أَرادَ السُّلْطان تِيراب بَعْدَ أَنْ صارَ مَلِكا أَنْ يَمْتَحِنَ أَوْلادَهُ . أَرادَ أَنْ يَعْرِفَ وَلَده الَّذِي يَسْتَحِقُّ الْمُلْك . كان عِنْدَهُ ثَلاثُونَ وَلَداً غَيْرَ الْبَنَات وَكانَتْ زَوْجاتُهُ كَثِيراتٍ غَيْرَ السَّرارِي .

قالَ السُّلْطان تِيراب لِأَوْلادِهِ : «يا أَوْلادِي، أُرِيدُكُمْ أَنْ تَعْمَلوا (عَلَى كَيْفِكُم) فِي مَمْلَكَتِي .

اعْمَلُوا الَّذِي تُرِيدُون . اعْمَلُوا أَيَّ حاجَة تُرِيدُون أَنْ تَعْمَلوها . أَبُوكُمْ الْمَلِك . ما تَخافُوا مِنْ أَحَد »

فَرِحَ أَوْلَاد السُّلْطَان تِيرَاب . مَشَوا فِى كُل بَلَد تَحْتَ مُلْك وَالِدِهِمْ . عَمِلُوا كُلَّ حَاجَة خَطَرَتْ فِى بَالِهِمْ . كَانَ الْوَاحِد مِنْهُمْ إِذَا رَأَى حِصَاناً وَأَعْجَبَهُ أَخَذَهُ مِنْ صَاحِبِهِ . وَكَانَ الْوَلَدُ إِذَا رَأَى سَيْفاً وَأَعْجَبَهُ أَخَذَهُ مِنْ صَاحِبِهِ بِدُون ثَمَن . .

غَضِبَ النَّاسُ مِنْ هَذِهِ الْمُعَامَلَة الْبَطَّالَة . اشْتَكُوا وَكَلَّمُوا السُّلْطَان تِيرَاب بِخُصُوص مُعَامَلَة أَوْلَادِهِ الْبَطَّالَة لِلنَّاس . اشْتَكَى النَّاسُ مِن كُلِّ أَوْلَادِ السُّلْطَان إِلَا مِنْ وَاحِدٍ . . كَانَ اسْمُ ذَلِكَ الْوَاحِدِ إِسْحَاق . كَانَ إِسْحَاق أَكْبَرَهُمْ وَأَعْقَلَهُمْ .

قَالَ السُّلْطَان لِلنَّاس : « هَذِهِ حِكَايَةٌ عَجِيبَة . كُلُّ النَّاس يَشْتَكُون مِنْ أَوْلَادِى مَاذَا عَمِل أَوْلَادِى . لَمْ يَعْمَلْ أَوْلَادِى لِلنَّاس أَىَّ ضَرَر . لِمَاذَا يَشْتَكِى النَّاسِ مِنْ أَوْلَادِى ! »

تَظَاهَرَ السُّلْطَان لِلنَّاس أَنَّه مَسْرُورٌ مِنْ أَعْمَال أَوْلَادِهِ . وَتَظَاهَرَ السُّلْطَان لِأَوْلَادِهِ أَنَّهُ مَسْرُورٌ مِنْ أَعْمَالِهِمْ لَكِنْ فِى الْحَقِيقَةِ كَانَ يُرِيد أَنْ يَعْرِف أَخْلَاق أَوْلَادِهِ كَانَ يُرِيد أَنْ يَعْرِف الْوَلَد الَّذِى لَا يَضُرُّ النَّاس ، وَلَا يُعَامِل النَّاس مُعَامِلَة بَطَّالَة إِذَا صَارَ مَلِكا بَعْدَه .

عَرَفَ أَنَّ كُلَّ أَوْلَادِهِ لَا يَنْفَعُونَ لِيَكُونُوا سَلَاطِينَ إِلَّا وَلَدَهُ الْكَبِيرَ الْعَاقِلَ إِسْحَاق . إِسْحَاق هُوَ الَّذِي عَامَلَ النَّاسَ مُعَامَلَةً طَيِّبَةً بِعَكْسِ إِخْوَانِهِ . وَعَرَفَ السُّلْطَانُ تِيرَاب أَنَّ وَلَدَهُ إِسْحَاق هُوَ الْعَاقِل . وَهُوَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ الْمُلْك .

كَانَ السُّلْطَانُ تِيرَاب يُحِبُّ زَوْجَتَهُ فَاطِمَة . وَكَانَ لِفَاطِمَةَ وَلَدٌ مِنَ السُّلْطَانِ تِيرَاب اسْمُهُ أَحْمَد . وَكَانَتْ تَعْرِفُ أَنَّ السُّلْطَانَ يُحِبُّهَا أَكْثَرَ مِنْ كُلِّ زَوْجَاتِهِ . لِذَلِكَ طَلَبَتْ مِنْهُ أَنْ يَجْعَلَ وَلَدَهَا أَحْمَد فِي الْمُلْكِ بَعْدَ وَفَاتِهِ . طَلَبَتْ مِنْهُ أَنْ يَتْرُكَ

إِسْحَاق ، وَيَصِيرَ أَحْمَد السُّلْطَان .

قَالَ السُّلْطَان تِيرَاب لِزَوْجَتِهِ فَاطِمَة :

« يَا فَاطِمَة نَمْتَحِنُ إِسْحَاق وَأَحْمَد . وَنَرَى الْأَحْسَن . إِذَا كَانَ أَحْمَد أَحْسَنَ مِنْ إِسْحَاق جَعَلْنَاهُ السُّلْطَان . وَإِذَا كَانَ أَحْمَد أَفْرَسَ مِنْ إِسْحَاق اسْتَحَقَّ الْمُلْك .

قَبِلَتْ فَاطِمَة ، وَجَلَسَتْ مَعَ زَوْجِهَا السُّلْطَان تِيرَاب فِي غُرْفَةٍ . نَادَى السُّلْطَان وَلَدَهُ إِسْحَاق ، وَوَلَدَهُ أَحْمَد فِي اللَّيْل . وَوَضَعَ أَمَامَ بَابِ الدُّخُولِ لِلرِّجَالِ أَسَداً كَبِيراً . كَانَ ذَلِكَ الْأَسَد الَّذِي فِي الْبَاب كَبِيراً وَقَوِيّاً ، وَلَكِنَّهُ كَانَ مُقَيَّداً بِالْحَدِيد

كَانَ الْأَسَد مِن الأُسُودِ الْأَلِيفَة ، وَهُوَ يَلْعَب مَعَ النَّاس ، وَيَعضّ النَّاس وَيَجْرَحُهُمْ بِأَنْيَابِهِ الحَادَّة ، وَأَظَافِرِهِ الْقَوِيَّة .

حَضَرَ إِسْحَاق وَحَضَرَ أَحْمَد . رَأَى أَحْمَد الأَسَد فَرَجَعَ ، وَدَخَل مِنْ بَابِ النِّسْوَان . رَأَى إِسْحَاق الْأَسَد وَعَرَفَ أَنَّهُ إِذَا دَخَل جَرَحَهُ الْأَسَد ، عَرَفَ أَنَّ الْأَسَد سَيَجْرَحُهُ بِأَظَافِرِه

كَانَ إِسْحَاق يَعْرِف أَنّ الْعَادَة أَنْ يَحْبُوا الْإِنْسَان عَلَى الْأَرْضِ إِذَا دَخَل عَلَى السُّلْطَان . لِذَلِك جَلَس إِسْحَاق عَلَى الْأَرْض ، وَصَار يَحْبُو وَيَحْبو .

وَالأَسَد يَجْرَحُهُ بِأَنْيَابِهِ وَأَظَافِرِه وَيَعَضُّهُ لَكن إِسْحاق لَمْ يَهْتَم حَتَّى دَخَلَ عَلَى وَالِدِهِ .

دَخَلَ إِسْحَاق عَلَى وَالِدِهِ وَالدَّم يَقْطُرُ مِنْهُ لِأَنَّ الْأَسَد جَرَحَهُ . لَمْ يَمْسَحْ إِسْحَاق الدَّم كَأَنَّهُ غَيْرُ مَجْرُوح . أَمَّا أَحْمَد فَكَانَ غَيرَ مَجْرُوح لِأَنَّهُ دَخَلَ مِنْ بَابِ النِّسْوَان .

خَرجَ أَحْمَد وَإِسْحَاق ، كُلُّ وَاحِدٍ مِن البَاب الَّذِى دَخَلَ مِنْهُ . قَالَتْ فَاطِمَة لِزوْجِها السُّلْطَان تِيرَاب : « حَقِيقَة إِسْحَاق أَحْسَن وَأَفْرَس مِنْ ابْنِى . وَالِدِى أَخْجَلَنِى لِأَنَّهُ خَافَ مِنْ الْأَسَد »

السُّلْطَانِ تِيرَاب والمسبعَات

كَانَ مُلُوكُ الْمُسبعَات يَسْكُنُونَ فِى كُرْدُفَان . وَكَانُوا أَوْلَاد عَمِّ سَلَاطِين دَارْفُور . لَكِنَّ الطَّمَع فِى الْمُلْكِ جَعَلَهُمْ يَهْجِمُونَ عَلَى سَلْطَنَة دَارْفُور . كَانَ الْمَلِك هَاشِم مَلِك الْمُسبعَات فِى أَيَّام السُّلْطَان تِيرَاب . وَكَانَ هَاشِم مُتَكَبِّراً يُحِبُّ أَنْ يَكونَ أَعْظَمَ مَلِك .

هَجَمَ الْمَلِك هَاشِم عَلَى بِلَادِ السُّلْطَان تِيرَاب مَرَّاتٍ عَدِيدةً كَتَبَ إِلَيْهِ السُّلْطَان تِيرَاب جَوَاباً

قال له في الجواب :

« يا أخي هاشم . نحن أولاد عم ، ومسلمون . وإخوان ، لا يصح أن نحارب بعضنا حرام عليك أن تهجم على بلادي ، وتقتل ناسي ورعيتي رعيتي من المسلمين وأنا مسلم ، وأنت مسلم . حرام أن يقتل واحد منا الثاني ، أو يقتل واحد منا ناس الثاني ورعيته » .

لم يسمع هاشم كلام السلطان تيراب رفض أن يسمع نصيحته ، وقال : كيف يكتب لي تيراب مثل هذا الكلام . هل تيراب مسلم أحسن

مني ، من هو تيراب حتى يكتب إلى هذا الجواب لو كان تيراب ملكاً عظيماً شجاعاً أنا أشجع منه إذا قرب من بلادي قتلته وقتلت عساكره » .

سمع وزراء تيراب هذا الكلام وقالوا : « يجب أن نحارب هاشماً لأنه أساء إلينا . يجب أن يتأدب هاشم ويعرف أننا أشجع منه .

ذهب الوزراء إلى السلطان تيراب وقالوا له « نريد أن تحارب الملك هاشماً ، وتؤدبه يجب أن تؤدب الملك هاشماً .

لكن السلطان تيراب لم يوافق على فكرتهم

كَانَ يرِيدُ السِّلم وَيَتْرُك الحرْب لِأَنَّ النَّبِىَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قَالَ : «الْمُؤمِن أَخُو الْمُؤمِن» . لِهَذَا السَّبَب رَفَضَ السُّلْطَان تِيرَاب أَنْ يحارِبَ الْمَلِك هَاشِماً .

غَضِبَ وَزَرَاءُ السُّلْطَان تِيرَاب . وَغَضِبَ قُوَّادُه وَعَسَاكِرُهُ وَرَعِيَّتُهُ . كَانُوا يُرِيدُون الْحَرْبَ إِلاَّ تِيرَاب . وَفِى أَحَدِ الْأَيَّام ذَهَبَ الوُزَرَاء إِلَى مَحل نَحَاسِ الْحَرْب ، وَضَرَبُوا النَّحَاس كَأَنَّهُمْ ذَاهِبُون إِلَى الْقِتَال . سَمِعَ السلْطَان تِيرَاب الضَّرْبَ عَلَى النَّحَاس فَلَبِسَ مَلاَبِسَ الْحَرْب وَخَرَج . عَرَفَ أَنَّ رِجَال بِلاَدَهُ يُرِيدُونَ الْحَرْب . عَرَفَ

أَنْهُمْ يَحْسَبُون أَنَّهُ خَائِف . وَأَنَّهُ لاَ يَقْدِر على الحَرْبِ . خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ وَهُوَ غَضْبَان ، وَوَقَفَ فِى الْمَيدَان الْوَاسِع الَّذِى أَمَامَ قَصْرِهِ يَنْتَظِر جُيُوشَه

جَاءَتْ جُيُوشُهُ مِنْ كُلِّ مَكَان فِى بِلاَدِ دَارْفُور جَاءَتْ الْجَيُوشُ بِالْخَيْل ، وَالسُّيُوف ، وَالْحِرَاب . وَالدَّرَقَات ، حَضَرَ الْعَسَاكِر بِالآلاَف ، وَزَادَ الْعَدد وَغَبَّرُوا الأَرْض وَالْجَوَّ ، وَكَانَتْ الطبُول تَضْرب ، وَالْخَيْل تَصْهَل وَتَجْرِى وَتَتَحَرَّك ، وَالرَّايَات وَالأَعْلاَم تَتَمَوَّج . كَانَ الْجَيْشُ كَبِيراً جِدًّا .

وَقَفَ السُّلْطَانُ أَمَامَهُم وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَرْكَبُوا

وَيُسَافِرُوا إِلَى (كردفان) لِيُحَارِبُوا الْمَلِك هَاشِماً . فَرِحَ الرِّجَال وَسَارُوا وَرَاءَ الْمَلِك ، وَالْمَلِك لاَ يَتَكَلَّم . كَانَ الْمَلِك غَضْبَان لأَنَّ الْوُزَرَاءَ لَمْ يَسْمَعُوا كَلاَمَهُ ضَرَبَ الْوُزَرَاءُ النَّحَاس مِنْ غَيْر أَنْ يَأْمُرهُمْ سُلْطَانُهُم كَانَ السُّلْطَانُ يُرِيدُ أَنْ يُعَرِّفَهُمْ أَنَّهُ أَصْبَرُ مِنْهُمْ عَلَى الْقِتَال أَرَادَ أَنْ يُعَرِّفَهُمْ بِأَنَّ حَمَاسَهُمْ غَيْرُ صَحِيح ، وَيَجِبُ أَنْ يُفَكِّر الوَاحِد قَبْل أَنْ يُحَارِب .

سَارَ مِن الصَّبَاح حَتَّى نِصْف اللَّيْل أَرَادَ الْعَسَاكِر أَنْ يَرْتَاحُوا ، وَأَرَادَ الوُزَرَاءُ أَنْ يَرْتَاحُوا ، وَأَرَادَ القُوَّادُ أَنْ يَرْتَاحُوا ، أَمَّا السُّلْطَان

تِيرَاب فَمَا كَانَ يُفَكر فِى الرَّاحَة تَعِبَ الْجَيْشُ وَالْقُوَّادُوا الْوُزَرَاءُ وَطَلَبُوا الرَّاحَةَ وَالنُّزُول.

ذَهَبَ الْوُزَرَاءُ لِلسُّلْطَان وَقَالُوا لَهُ «نَحْنُ مُحتَاجُون لِرَاحَةٍ» لَمْ يَتَكلم السُّلْطَان مَعَهُم. اسْتَمَرَ عَلَى حِصَانِهِ جَاءَ الْوُزَرَاءَ مَرَّةً ثَانِيَةً إِلَى السُّلْطَان وَقَالُوا «كُلُّ النَّاس يرِيدُون الرَّاحَة»

لَمْ يَتَكَلَّمْ السُّلْطَان تِيرَاب وَلَكِنَّهُ أَدْخَل يَدَهُ تَحْتَ فَخذِهِ، وَأَخْرَجَهَا. نَظَرَ الْوُزَرَاء إِلَى يَدِ السُّلْطَان. وَجَدُوا أَنَّهَا مُلَطَّخَةٌ بِالدَّم. عَرَفُوا أَنَّ السُّلْطَان تِيرَاب «مَظْلُوط»، وَأَنَّ جِلْدَهُ انْسَلَخَ

حَتَّى سَكَبَ الدَّم. وَلَكِنَّهُ صَبَر، وَلَمْ يَتَأَلَّمْ، وَلَمْ يَتَكَلَّم. عَرَفُوا أَنَّهُ أَصْبَر مِنْهُمْ. خَجِلُوا وَرَجَعُوا

وَلَكِنْ جَاءَ الإِمَام الَّذِى كَانَ يُصَلِّى بِهِمْ فِى الْفَاشِر. وَقَالَ لَهُ: «يَاسُلْطَان إِنَّنَا مَشَيْنَا مِن الْفَجْر حَتَّى الْآن، وَفَاتَتْنَا خَمْسُ صَلَوَات. فَاتَتْنَا الْأَوْقَات كُلُّهَا وَلَمْ نَنْزِلْ لِنُصَلِّى. إِنَّ الدِّين يَأْمُرُنَا أَنْ نُصَلِّى. يَجِب أَنْ تَنْزِل لِلصَّلَاة»

نَزَلَ السُّلْطَان مِنْ فَرَسِهِ. وَنَزَلَ كُلُّ رِجَال الْجَيْشِ وَاسْتَرَاحُوا. وَصَلُّوا وَرَاءَ الْإِمَام كُلَّ الصَّلَوَات الَّتِى فَاتَتْهُمْ.

وَفِي الصَّبَاح رَكِبُوا حَتَّى وَصَلوُا بلاَدَ الْمَلِك هَاشِم. لَمْ يَجِدوا الْمَلِك هَاشِماً، هَرَبَ الْمَلِك هَاشِم لِأَنَّهُ عَرَفَ أَنَّ جُيُوش السُّلْطَان تِيرَاب أَكْثَر مِنْ جُيُوشِه. خَافَ مِنْ جُيُوش دَارْفُور. تَرَكَهُ رِجَالَهُ وَعَسَاكِرُهُ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْرَهُونَهُ تَرَكُوهُ وَهَرَبُوا مِنْهُ. وَجَدَ هَاشِم نَفْسَهُ وَحِيداً. خَافَ وَهَرَبَ إِلَى مُلوُك الْفُونْج. ذَهَبَ إِلَى سِنَّار وَسَكَنَ مَعَ مَلِكِ الْفَونْج.

تَبع تِيراب الْمَلِك هَاشِماً وَصَمَّمَ أَنْ يَلْحَقَهُ فِي سِنَّار سَارَ مِن الْغَرْب حَتَّى وَصَلَ أُمْدُرْمَان. وَجَدَ

فِي أُمِّدُرمان جُيُوشَ مَلِك سِنَّار. حَارَبَ جَيْش سِنَّار وَغَلَبَهُمْ، تَغَلَّبَ عَلَيْهِمْ حَتَّى هَرَبُوا وَأَخَذَ نَحَاس ذَلِك الْجَيْش. فَرِحَ لِأَنَّه فَازَ بالنَّحَاس فَرَحا شَدِيدًا.

نَزَلَ تِيراب فِي أُمْدُرْمَان، وَفَكَّر فِي أَنْ يَعْبُر النِّيل. أَرَادَ أَنْ يَعْبُرْ النِّيل الْأَبْيَض وَيَذْهَب مَعَ النِّيل الْأَزْرَق حَتَى يَصِل سِنَّار. كَانَ فِي نِيَّتِهِ أَن يُحَارِبَ مَلِكَ الْفُونُج فِي سِنَّار وَيَقْتُل هَاشِماً. وَبَعْدَ ذَلِك يَرْجِع إِلَى الْفَاشِر.

عَلِمَ الْوُزَرَاء وَالْعَسَاكِر أَنَّ السُّلْطَان تِيرَاب

حَلَفَ أَنْ يَقْتُلَ هَاشِماً . وَعَلِمُوا أَنَّ ذَلِكَ يَجْعَلُهم
يُسافِرُون إِلى سِنَّار . تَعِبَ الرِّجَال وَتَعِبَ الوُزَرَاءُ
وَكُلُّ النَّاس فِي الْجَيْشِ إِلاَّ تِيرَاب . اشْتَاقَ النَّاس
لأَوْلادِهِمْ فِي دَارْفُور . وَاشْتَاقُوا لأَهْلِهِمْ فِي الْفَاشِر .
تَعِبُوا مِنْ كَثْرَةِ السَّفَر ، وَطُولِ الْمَسَافَة

وَالسُّلْطَان تِيرَاب يُرِيد
أَنْ يُسَافِر وَيُحَارِب .
لَمْ يَعْجِبْ الْوُزَرَاءوالْقُوَّاد
كَلاَم تيراب . فَكَّرُوا فِي
عَمَل مَكِيدَة ضِدَ تيراب

فَكَّرُوا فِي قَتْلِ تيراب وَاتَّفَقُوا مَعَ رَجُل اسْمُه
عَلِيوَدْ بَرْقُو . كَانَ عَلِي وَدْبَرْقُو وَالِدفَاطِمَةِ زَوْجَة
السُّلْطَان أَخْبَرُوهُ أَنَّهُمْ دَبَّرُوا طَرِيقَةً لِقَتْلِ السُّلْطَان
وَبَعْدَ قَتلِ السُّلْطَان يَكُونُ السُّلْطَان مِنْ بَعْدِهِ عَلِي

كَلَّمَ عَلِيٌّ الوُزَرَاء وَشَجَّعَهُمْ وَوَافَقَهُمْ عَلَى
قَتْلِ تِيرَاب . قَالَ لَهُمْ : « اقْتُلُوهُ بِسُرْعَةٍ
لاَ تَتَأَخَّرُوا اقْتُلُوهُ اقْتُلُوهُ بِأَسْرَعِ فُرْصَةٍ » .

لَكِنَّ الْقَدَرَ لَمْ يُسَاعِدْ الْوُزَرَاء . أَرَادَ الْقَدَر
أَنْ يُنَجِّيَ السُّلْطَان تيراب جَاءَ وَاحِدٌ مِنَ الْوُزَرَاء
إِلى السُّلْطَان وَأَخْبَرَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ . أَخْبَرَهُ أَن

وَدْ بَرْقُو صَارَ يُشَجِّع الْوُزَرَاء لِيَقْتُلُوا السُّلْطان كلَّ يَوْمٍ لِيَصِيرَ هُوَ السُّلطان .

غضِبَ تِيراب وَقَبَضَ عَلِى وَدْ بَرْقُو وَبَقِيَةِ الْوُزَرَاء . أَمَرَ رِجَالَهُ بِقَتْلِ عَلِى وَدْ بَرْقُو . وَوَضَعَ الْوُزَرَاء فِى الْحِرَاسَةِ .

عَرَفَ تِيراب أَنَّ رِجَالَهُ لاَ يُرِيدُونَ الْحَرْب بَعْدَ ذَلِك . وَعَرَفَ أَنْ صَبْرَهُمْ نَفَد . خَافَ إِذَا ذَهَبَ إِلَى سِنَّار وَحَارَبَ الْفُونْج أَن يَهْرُبَ رِجَالُهُ مِن الْحَرْب لِأَنَّهُمُ اشْتَاقُوا لِبِلاَدِهِمْ . خَافَ أَنْ يَنْهَزِم وَبَقِىَ فِى أُمْدُرْمَان لِيُشَجِّعَهُمْ .

لَكِنَّ الْقَدَرَ أَرَادَ غَيْرَ ذَلِك . مَرِضَ السُّلطَان تِيراب بِالْمِلاَرْيَا . عَضَّتْهُ نَامُوسَةٌ فَأَصَابَتْهُ الْحُمَّى الْمِلاَرْيَا . تَعِبَ جِدًّا مِن الْمَرَض وَالْحُمَّى . صَارَ يَرْقُدُ فِي سَرِيرِهِ طولَ النَّهار . وَإِذَا جَاءَ اللَّيْلُ تَمْلْمَلْ وَتَكَلَّمَ بِكَلاَمٍ غَيْرِ مَفْهُوم . لَمْ يَفْهَمْ النَّاسُ كَلاَمَهُ لِأَنَّ الْحُمَّى كَانَت شَدِيدة .

لَمَّا رَأَى النَّاس أَنَّ سُلْطَانَهُمْ مَرِيض خَافُوا عَلَيْهِ وَفَكَّرُوا فِى الرُّجُوعِ إِلَى دَارْفُور . لَمْ يَقْدِرْ الْمَلِك أَنْ يَرْكَبَ فَرَسَهُ كَمَا كَانَ يَرْكَب . مَنَعَه المَرَض مِنْ الرُّكُوب . لِذَلِك حَمَلَهُ رِجَالُهُ عَلَى سَرِير .

وَرَجَعُوا فِي طَابُورٍ طَوِيلٍ مِنْ أُمْدُرْمَانَ إِلَى الْفَاشِرِ.

سَارَ جَيْشُ الْفُورِ أَيَّاماً وَلَيَالِي، وَالسُّلْطَانُ مَرِيضٌ وَحَالَتُهُ لَمْ تَتَحَسَّنْ. وَفِي الطَّرِيقِ مَاتَ السُّلْطَانُ تِيرَابُ

كَانَتْ الْبِلَادُ الَّتِي تَحْتَ حُكْمِهِ يُسَافِرُ الْوَاحِدُ فِي طُولِهَا مُدَّةَ ثَلَاثَةِ شُهُورٍ وَيَقْطَعُ عَرْضَهَا فِي شَهْرَيْنِ. مَاتَ تِيرَابُ الصَّبُورُ. كَانَ يَصْبِرُ عَلَى كُلِّ مُصِيبَةٍ مَهْمَا كَانَتْ.

بَكَاهُ الْجَيْشُ وَالْوُزَرَاءُ وَالْقُوَّادُ. بَكَوْا لِأَنَّهُ كَانَ سُلْطَاناً عَادِلاً طَيِّباً. بَكَوْا عَلَيْهِ وَحَمَلُوا جِنَازَتَهُ حَتَّى وَصَلُوا جَبَلَ مَرَّةَ.

وَفِي جَبَلِ مَرَّةَ صَلُّوا عَلَيْهِ صَلَاةَ الْجِنَازَةِ وَدَفَنُوهُ وَالدُّمُوعُ تَنْزِلُ مِنْ عُيُونِهِمْ عَلَى السُّلْطَانِ تِيرَابَ سُلْطَانِ الْفُورِ.

إنتـــهى